



تارا رينور أو جرادي ناشطة في مجال حقوق الإنسان والوسائط الاجتماعية.

- أحد الأعضاء المؤسسين لمنظمة برافو (منظمة البحرين لإعادة التأهيل ومناهضة العنف)
 - لقد تابعت انتهاكات الممرضات والأطباء في البحرين خلال الأزمة

"مَن رأى منكُم سُلطاناً جائِراً مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعَهدِه، مُخالِفاً لسنة رسولِ الله، يَعملُ في عبادِه بالإثم والعدوانِ فلم يُغيّر ما عليه بقولٍ ولا بفعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يُدخِله مَدخلَه" - النبي محمد(ص).

أحيت الأمم المتحدة الأسبوع الماضي ذكري ضحايا أعمال العنف القائمة على أساس الدين والمعتقد. وبعد دخولنا في شهر محرم من السنة الهجرية الجديدة، فرصةً مناسبة لذكر التوبة والتكفير والتجديد. وبصادف في محرم ذكري إنقاذ موسى وبني إسرائيل من فرعون، وبسمى يوم "الغفران الهودي". كما أن فيه يوم الطوفان ومغادرة نوح بالسفينة، ووصول النبي محمد (ص) إلى المدينة المنورة الإستكمال الهجرة. إضافةً إلى ذلك، فإن شهر محرم شهد على واحدة من أسوء المعارك في التاريخ، والتي تنبأ بها النبي محمد (ص) بحديث له: "سيقتل ولدي الحسين وحيداً عطشاناً في الطف". إذ تعرض الحسين بن على، الخليفة الشرعي، للخيانة، حيث

تخلت عنه الأمة وفاقه الأعداء عدداً وقُتل ومن معه من أهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء، يوم عاشوراء في العاشر من محرم، على يد جيش الطاغية يزيد بن معاوية.

البحث عن القدوة

جميعنا يبحث عن أمثلة يُقتدى بها من الرجال الطيبين والنساء الطيبات، أنصار العدالة، الذين يحظون بإحترام كبير من الناحية الأخلاقية والثابتين، وذوي الكرامة والشرف. نحاول أن نستحضر بعض الدروس المستخلصة من حياتهم لمساعدتنا في التغلب على محننا ولِنُقاد بحكمتهم آملين أن نترك لأطفالنا الأدوات المفيدة لإستخدامها كموارد لتخطي محنهم. في سعيي هذا، وجدت أن الله يكشف لي نفسه من خلال أشخاص آخرين، فهو يستخدم الناس لتشجيع وإعانة ومساعدة بعضهم البعض، ليبعث لنا رسائله ويجعلنا مسؤولين أمام بعضنا. لعل كلامي هذا يجعل أناساً يشعرون بعدم

الإرتياح. في الواقع من الممكن أن أُتهم بالحديث الصريح عن الإيمان وعن الله. ومع ذلك، إن ما يحدد حياتي هو علاقتي مع الله وعبء الواجب الذي أشعر به لتخفيف الألم في العالم من خلال معالجة الظلم والقسوة، على أمل تقديم التشجيع وتعزيز الرغبة بالتآلف. هذا هو تفسيري الشخصي لكوني مدافعة عن حقوق الإنسان.

لم يستغرقني الأمر وقتًا طويلاً لوصولي إلى استنتاج مفاده أن الحسين كان أفضل رجال عصره وجميع الرجال منذ ذلك الحين. إن الإمام الحسين وأخيه العباس هما سبب إقتناعي بحديث النبي محمد (ص): «إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي اختار عليه أحدًا أبدًا». لم أتمكن من قراءة الخط العربي والرائع للقرآن بوضوح، لذا كنت أقابل الناس الذين أعرفهم وأستمع إليهم، فهم علموني من خلال مثال حياتهم دروساً أكثر مما قرأته في حياتي.

لم أكن مهتمةً بالحج من قبل. لم يلفتني أحد في التاريخ بما فيه الكفاية لبذل الجهد لزيارة أماكن

دفنهم، أو الأمكان التي ولدوا فها أو لتكريم أضرحتهم. إلا أنني كلما تعرفت أكثر على الإمام الحسين وأحداث عاشوراء، كلما إزددت ثقةً بأن طريقي سيقودني إلى كربلاء.

قبضتي كانت سلاحي الوحيد

إسمحوا لي بإلقاء الضوء على جانب من حياتي. على قدر ما أتذكر، كنت واعية روحياً منذ طفولتي المبكرة؛ فقد عرّفني والداي على العلاقة مع الله. وفي حين نشأت كمسيحية، إلا أن أبي وأمي ينتمون إلى طوائف متعارضة. إذ كانت عائلة والدتي من البروتستانت، كنيسة أيرلندا، لذا كانوا من الملكيين البريطانيين ومخلصين للعائلة المالكة؛ كما أن جدي درَس في الكلية العسكرية البريطانية. وعائلة أمي من جهة الأب، كانوا من الكاثوليك والمقاتلين الأيرلنديين الذين شاركوا في ثورة 1916 من أجل الحرية وعملوا في مجال الصحافة والطباعة. في المقابل، كانت عائلة والدي موالية للعقيدة البروتستانتية (هوجوينو) التي

فرَ أبناؤها إلى أيرلندا هرباً من الإضطهاد الكاثوليكي في فرنسا في القرن السادس عشر. تاريخياً، كانوا من الصليبيين، فرسان مستشفى القديس يوحنا. ووفقاً لتقاليد عائلتي، من خلال سلسلة الدم هذه، أمتلك الميراث الهودي والإسلامي معاً. كان أبناء جدتي من أبي "أيرلنديون سود"، ولهم بشرة سمراء وشعر غجرى داكنٌ للغاية، وكان والدى أكبر أطفالها التسعة الأحياء. كان جدى رئيس محطة القطار خلال الحرب العالمية الثانية. لقد كان رجل عملاقاً ذو أيدٍ ضخمة، أنقذ حياة العديد من الناس بشجاعة من السقوط بين العربات وعلى مسارات القطارات، وأحيانًا كان يحضر إلى المنزل فاكهة البرتقال أو الأناناس النادرة والثمينة لأطفاله الكثر عندما كانت تسقط صناديق الفواكه من على ظهر العربات.

رغم أن والدي كان يعمل في المقر الرئيسي لشركة مالية أيرلندية في إنجلترا، إلا أننا عشنا في قرية تضم في معظمها عائلات شرطة العاصمة، خارج لندن أثناء الاضطرابات في السبعينيات. كانت هذه فترة لا

تصدق من الإضطرابات بالنسبة لتاريخنا الطويل والمرير. وخلال حرب الثمانمئة عام الأيرلندية ضد الاحتلال البريطاني، شهدنا الإحتلال الإستعماري والإنشقاقات وانتهاكات حقوق الإنسان الشنيعة، وقد هلك أكثر من 2 مليون شخص كنتيجة مباشرة لمجاعة من صنع الإنسان أو الإبادة الجماعية.

من ناحيتي، عُرِفتُ في المدرسة باسم "الفتاة الأيرلندية الصغيرة"، مما يعني أنني كنت أتعرض لإساءة المعاملة من قبل المعلمين، وللضرب اليومي ذو الطراز القديم. كنت في الخامسة من عمري عندما كان يقودني موظفو المدرسة إلى المنزل، بعد أن يتم دفعي إلى الطابق السفلي وفرك وجهي على طول الجدار الحجري المرصوف بالحصى كوني من أيرلندا. وبعد أن عدت إلى بلدي الأصلي بعد بضع سنوات، تعذبت مرة أخرى بسبب لكنتي الإنجليزية. وهكذا، منذ سن مبكرة، لم يكن لدي أي تسامح مع العذاب الكريه الذي يتسبب به المتنمرون، الطغاة، المرهبون، والمضايقون. قابلتهم مبكراً، ورغم أنني لم أكن سريعة والمضايقون. قابلتهم مبكراً، ورغم أنني لم أكن سريعة

في الدفاع عن نفسي، مفضلةً تجربة "العقل"، إلا أنني شعرت بالنفور الشديد من أولئك الذين تصرفوا بقسوة اتجاه أي شخص أضعف منهم، وأولئك الذين شجعوا الآخرين على الإنضمام إلى سلوكهم البغيض. شعرت هذه الشخصيات بثقل غضبي كطفلة عندما كان كلّ ما لدي للدفاع عن أخي الصغير هو قبضتي الغاضبة.

علاقتي مع الله والأديان المتعددة

لقد قضيت أول شبابي في مدرسة خاصة في الدير في دبلن بأيرلندا، حيث كان لدينا مخاوف متكررة من القنابل ونقاط التفتيش التابعة للجيش والشرطة وبروتوكولات الطوارئ في المتاجر وفي المدرسة في حالة وقوع هجمات إرهابية. أصبحت طريقة الحياة هذه طبيعية واعتيادية تماماً ولم نر شيئاً غريباً لأننا عشنا حياتنا حول مناطق الخطر.

بعد أن هاجرت عائلتي إلى الولايات المتحدة، حيث كنا من منتصف الثمانينات إلى التسعينيات، كنت منغمسةً في التدين المتعدد الثقافات والذي يتعارض تماماً مع التجربة الأيرلندية التي كانت لدي، وذلك لتوسيع معتقداتي على نحو كبير لكي أكون أقرب إلى الله والى تنوع الأديان. قابلتُ وصادقت وحضرت مع المورمون والمعمدانيين والإنجيليين والسبتيين والروحيين والهنود الأميركيين والإنسانيين واللاأدربين والملحدين والهود والمسلمين، كما رأيت أولئك الذين يؤمنون بالتقمص والقيامة والطاقة الكونية والفراغ الكبير. لقد استمعت إليهم جميعاً بإحترام وكنت سعيدةً لهم ولإيمانهم والتزامهم. لكنهم لم يستطيعوا أن يأسروا انتباهى بشكل كافٍ ولم يؤثروا على طربق تعبدي.

حال البحرين يوجعني أكثر من مرضي

شعور غريب انتابني منذ أن تم تشخيص إصابتي بالسرطان. فقد كنت أدرس في الجامعة للحصول

على درجة علمية في السياسة والعلاقات الدولية والتاريخ، بهدف تركيز دراساتي على طابع الحرب و"الشرق الأوسط". في يناير 2012، قمت بحجز رحلة لزبارة مملكة البحرين للبحث ومراقبة الإحتجاجات السلمية في الشوارع وردود الفعل القاسية لقوات الشرطة ضد المشاركين في المسيرات الليلية. لقد شعرت بالحزن الشديد لأنى لم أستطع المغادرة إلى البحرين، أكثر من حزني على البقاء في أيرلندا لإجراء الجراحة والعلاج الكيميائي. عندها أخبرتني ابنتي، التي كانت في الرابعة من عمرها في ذلك الوقت، أنها تعتقد أن السرطان هو وسيلة الله لحمايتي من شيء أسوأ. وبالتالي، أياً كان ما تركه الله لي من الحياة، فقد تعهدت بتخصيص وقتى، للتخفيف من محنة أولئك المضطهدين بسبب إيمانهم ومسارهم المختار إلى الله.

كان والدي هو الذي لفت إنتباهي كطفلة إلى موضوع الإضطهاد الديني، وأنا مقتنعة بأن رحلتي إلى لقاء الحسين في نهاية المطاف بدأت في هذا الوقت. بالنسبة لي، فإن كل "حقوق الإنسان" الأخرى تنبع

من حرية الدين لأن إيماننا ينبه إحساسنا بالعدالة ورغبتنا في الحرية. أنا أعتبر أن الكراهية لدين أو إيمان الآخرين هي أسوأ شر، واكتشاف هذا الشر أشعل فضولاً بي فيما يتعلق بالمسافة بين الأديان.

الحسين بعيونهم

هذا الفضاء المشترك للتاريخ الذي يتم تفسيره من خلال مناوراتنا المتنوعة للإرشاد والمعرفة والتفاهم الذي أعتقد أنه يشير إلى عاشوراء. يمكن إعتبار جوهر هذا اليوم المقدس مثالاً مثالياً للتماسك الديني غير العادي. وقد أشار عدد لا يحصى من الشخصيات التاريخية إلى الإمام الحسين ومعركة كربلاء باعتبارها التوضيح المطلق للشرف والتضحية من أجل الحرية. كما وقد أشار المهاتما غاندي أن "الحسين سار مع صحبة قليلة ليس للمجد، وليس للسلطة أو الثروة، بل للتضحية العليا وكل عنصر في تلك الفرقة الشجاعة، ذكوراً وإناثاً، كان يعلم أن أعدائهم لا ترحم، ولم يكونوا مستعدين للقتال فقط

ولكن للقتل". لقد حُرموا من الماء جميعاً حتى الأطفال، ظلوا في الجفاف تحت أشعة الشمس الحارقة، وسط رمال الصحراء ولم يتعثّر أحدهم للحظة، وواجهوا أعظم المصائب بشجاعة ومن دون إجفال. ويقول الكاتب فيكتور هوغو: "أصبحت مبادئ ثورة الحسين مقاربة لكلّ ثائر يريد أن يأخذ حقوقه من مضطهديه". وتحدث تشارلز ديكنز قائلاً: "إذا كان الحسين قد حارب من أجل رغباته الدنيوية، فلماذا رافقه إخوته وزوجاته وأطفاله؟ إذاً، من المنطقي القول أنه ضحى بشكل واضح من أجل الإسلام".

ربما يكون أكثر ما يثير الإهتمام هو أنه على الرغم من الهجمات الإرهابية التي تعرض لها المسلمون الشيعة في العديد من البلدان في يوم عاشوراء من كلّ عام، فقد ساعدت في إلهام أعداد أكبر من الزوار، الذين يصل عددهم سنوياً إلى أكثر من 15 مليون شخص ينضمون إلى المشاة إلى كربلاء خلال "الأربعين".

رحلة اللقاء بالحسين

لقاء الحسين كان يشبه قيامي، أخيراً، بزيارة صديق قديم، كان معى والى جانبي، لكنني لم أستطع رؤبته أبداً. تعرفت عليه عن قرب كما لو كنت أتعرف على أحد أفراد العائلة غير المقربين، ثم أدركت على الفور أنه شخصٌ يشغل بالفعل مكاناً في قلبي. كان الأمر كما لو أنى رأيت أمام عيني سلالة عائلتي من خلال فحص للحمض النووي، وتصورت أن أجدادي يقفون مع عائلة الرسول الكريم في كربلاء، وكأنهم كانوا يدافعون عنهم وهم يصلون، وأنهم كجزء من الأمة ومن أتباع أهل البيت، وأنّ قائدهم العام حفيد النبي محمد (ص) الحسين بن على بن أبي طالب. وكما قال جون بن حوى (الصحابي المسيحي للحسين في معركة كربلاء): "قبل أن أموت، سأقاتل أعداء الله، وبسيفي ولساني سأخدم حفيد نبيه".

رسالتي لكم

مع الإحترام، ينبغي عدم تصنيف شعائر عاشوراء كشيء خاص وحصري بدين واحد. إن إحياء ذكري من خلال إعادة تمثيل الواقعة ومواكب الحداد العامة ورفع اللافتات والأعلام، والبكاء الجماعي والرثاء وتلاوة الشعر وسرد الأحداث وضرب الصدر، كلها تحترم دولياً وفي أديان متعددة بإعتبارها أعمال تعبّر عن الحزن والأسف والإجلال والتقدير. كما يجب أن يتبع هذا التعبير عن الحزن بعض الإجراءات الإيجابية. ومع الشفافية التي تحلّى بها الإمام الحسين، إذا استطعنا أن نوضح ونعلّم الآخرين فهم عاشوراء، يمكننا تعزيز العلاقات بين الناس من مختلف الأديان الذين يناضلون من أجل العدالة والمساواة، وبمكننا بلا شك المساهمة في تخفيف التوترات القائمة على الإختلافات الدينية والإجتماعية والسياسية. ترقى هذه "الإختلافات" إلى

تصنيف الأشخاص وفقاً لدينهم الذي كان بمثابة أداة سياسية تستخدم لإذكاء الطائفية بين أناس من أيديولوجيات متعارضة لإبعادهم عن بعضهم، وبذلك تضعف معارضهم الجماعية للطغاة.

الإمام الحسين لديه رسالة حاسمة مثالية لهذه الأزمنة الحديثة، "لا تنحني للطغاة، دافع عن أولئك الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، ولا تصمت عندما تشهد الظلم". هذا أمر مباشر لتعزيز الوئام، فهو ليس دعوة للثورة، بل هو مطلب للعمل الإجتماعي العالمي. يجب أن لا نخطئ، فيزيد حي وعلى ما يرام في عالمنا الحديث. ولكن كذلك الحسين بطلنا الأسطوري والمُضحيّ، الخالد، لا يزال موجوداً، والذي من دونه لم يكن الإسلام ليستمر، إذ جعل الطريق نحو الله مثالية. وأنا أيضاً سأبقى أردد "كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء"..."يا حسين".

المراجع

- عاشوراء، آية الله محمد مهدي الأصفي
- مقدمة إلى العالم الإسلامي ، آية الله مرتضى المطهري
- النور بداخلي ، الإمام الخميني ، العلامة الطباطبائي ، العلامة الشهيد المطهري
 - الصحوة الإسلامية المعاصرة ، محسن الآراكي
 - فلسفة قيام الحسين ، وفلسفة الدين ، سيد جواد نقفي
- الأقليات الشيعية: ضحايا العنف والتطرف، مجموعة من المقالات المعدة ل. HRC25

الأهمية العالمية لعاشوراء

"دور عاشوراء في تعزيز الإلتقاء الإنساني"

جميع الحقوق محفوظة لمركز البحرين للحوار والتسامح 2019 ©